

تقوم "الإهالي" وعلى شكل حلقات متتالية بنشر كتاب الاديب والمفكر العراقي الدكتور عبد الحسين شعبان عن الشخصية الوطنية الكبيرة لاستاذ سعد صالح جريو ، الذي امتاز بالوسطية والاعتدال ، وجمع بين الثقافة والسياسة ، وكان شاعراً رقيقاً مثلما عمل وزيراً للدخالية ، ورئيساً لحزب الأحرار الوسطي ، الذي خرج من معطف الحكومة ، ليرتدي بدلة المعارضة الوطنية .
ومثلما يسلم الباحث والاكاديمي شعبان ، الضوء حول سجاياه الشخصية وبينته النخبية ونجاحاته الادارية ومواقفه السياسية وخطبه البرلمانية ، متوقفاً عن دراسته الاولى في الحوزة العلمية ، ثم تخرّجه من دار المعلمين وكلية الحقوق ، فإنه يشدد على اصراره على اجازة الاحزاب واطلاق حرية الصحافة واطلاق السجون في الوزارة التي شارك فيها ولم تدم أكثر من يوماً .
ان كتاب الدكتور شعبان الذي يتقدمه عن سعد صالح ، إضافة مهمة للمكتبة العراقية والعربية ، وبشكل خاص لمكتبة التيار الديمقراطي ، الوسطي ، والليبرالي ، الذي سبق لشعبان وهو كاتب متمرس ومفكر مجدد ينتمي الى المدرسة الحدائثة والى جيلها الثاني ، ان رفندا بأكثر من كتاب في مجالات الفكر والثقافة والقانون والسياسة الدولية والاسلام والنزاعات الاقليمية والدولية والمجتمع المدني وحقوق الانسان .

## سعد صالح الضوء والظل" الوسطية والفرصة الضائعة"

## العراق والفرصة الحالة \* ذاكرة المستقبل

العمارة (ميسان) عندما كان محافظاً لها العام 1943، وقبل ذلك اقتفاء طريق الحق ولو على نفسه وآل بيته، كما يذكر أيضاً نجله لؤي سعد صالح حيث ذكرنا انزأله الى الصف الأول من الصف الثاني الابتدائي لشعور والده أن ذلك أسلم له وتعترياً

لقدراته فضلاً عن عدم رغبته في أن يقال عنه أن نجاحه كان محاباة، ولعل ذلك الطريق الصعب بل والأكثر وعورة، وهو طريق العدل والمساواة(3)
وقد انتخب سعد صالح في مجلس النواب عدة مرات (6 مرات) وكان خطيباً مفوهاً، ذرب اللسان، بليغاً وشجاعاً. دخل الكثير من المعارك والخصومات، ولكنه كان يعمل برصيد العالم ونزاهة الزاهد وحساسية المثقف، منها خلافه مع ابن مدينته الشيخ الوزير والشاعر محمد رضا الشيبيني وخلافه مع صالح جبر (رئيس الوزراء الاسبق) بعد ارتباطهما بصداقة حميمة، وكان من أقوى المعارضين لوزارة حمدي الباجه جي ووزير داخلية صالح جبر، لكن خلافاته تلك كانت ذات نكهة حضارية وانتمت بعبق اللسان والاحترام.

كانت دعوة سعد صالح للمساواة دليل اهتمام وانشغال بفكرة المواطنة في الدولة العصرية، حيث كان مؤمناً ايما ايمان بالوحدة الوطنية، مناوئاً للطائفية داعياً الى العدل الاجتماعي حسب المؤرخ مير بصري، معتقداً ان طريق الإصلاح انما هو طريق العصرية، وان الحرية لا يمكن ان يخشاها الاقوياء.

فلا أمطرت عليّ ولا بارضى سحابٍ ليس تنتظف البلاد! (4)
وقال في معرض الرد على رئيس الوزراء (في مجلس النواب): لقد سمعت بالأسس القريب بمناقشة في قضية البارزائين ورد فحاشة الرئيس، ذلك الرد الذي كان مشوباً بالغضب مع أنه لم يسمع مني إلا الزر اليسير مما يقوله الناس عن تلك القضية وعن الأموال العظيمة التي صرفت لاطفاء هذه الثائرة... فلقد عملت بقاعدة- ما كل ما يُعلم يقال- ومع ذلك وصفتي بالجرؤ على اتهام الحكومة ، وقال

بقيادة كامل الجادرجي) وحزب الأحرار (الذي أصبح هو رئيسه لاحقاً بعد خروجه من الوزارة وهو حزب وسطي ليبرالي خرج من معطف الحكومة وتبني أطروحات المعارضة، وحزب الشعب (وهو يساري عروبي ماركسي بقيادة عزيز شريف) وحزب الاتحاد الوطني (حزب اشتراكي ماركسي بقيادة عبد الفتاح ابراهيم(1) والجواهري)، ولم يمنح اجازة ترخيص لحزب التحرر الوطني الذي كان واجهة للشيوعيين.

ويمكن تفهيم ذلك لظروف تتعلق بالصراع الدولي وتوازن القوى. وبخصوص حرية الصحافة وحرية الكلام فقد كان سعد صالح يردد: ما دمت ساكون وزيراً للدخالية فانا الكفيل بتطبيقها. يقول حسن الأمين ان سعد صالح "الاديب الموهوب والكاتب المهلم" عاد بعد استقالته الى جريدته "الأحرار" معارضاً يكتب افتتاحيات الجريدة بعقل السياسي الناضج وقلم الشاعر النائي، الذي أخذ بطراف البلاغة من جميع جوانبها.(2)
وإذا كان سعد صالح قد اختار الوظيفة الحكومية وسيلة للخدمة العامة فإنه ظل يعمل مبدئيته موازناً بين واجبه الرسمي وحسّه الشعبي وتلك غالباً ما اختلف مع مرؤوسيه وتلك كانت سمته باستمرار، فعندما تخرج من مدرسة الحقوق بعد أن درس في الحوزة العلمية النخبية ودار المعلمين وشارك في الثورة العراقية الكبرى 1920 واضطر للهجرة الى الكويت، عيّن مديراً لتأحية في الحلة الهاشمية" ثم في الرميثة، وهناك اصطدم بالمفتش الاداري الميجر كلوب، واستقال من وظيفته ثم اختلف وهو قائمقام أبو صخير بسبب تعرض الإدارة الى عبد الواحد الحاج سكر، وعمل مفتشاً ادالياً ثم متصرفاً (محافظ) للحلة والكوت والدميم (الرمادي) والمنتكف (الناصرية) والعمارة (ميسان) مثنياً قدرته العالية ونزاهته وخطه الانماثية منها:
إقامة الجنائن المعلقة في الحلة (بعد تنظيف تلال الأوساخ وجعلها حديقة عامة كما يذكر نجله لؤي سعد صالح) وبناء المدارس ودرء الفياضانات المتكررة ونسوية الخلافات مع العشائر ومتابعة أحوال المعتقلين، لاسيما بعد حركة العام 1941 في



الدكتور عبد الحسين شعبان

بيروت

الطبعة التاسعة

الفصل الثاني

الهوية وارهاصات الاصلاح الأولى

يقول المؤرخ حسن الأمين وكان البارز في ذلك سياسي بدأ نجمه يسطع شعبياً ونيابياً، باعتماره رجل مبادئ وقيم وذا كفاءة قيادية وفكرية، مضافاً الى ذلك أنه شاعر مجيد وكاتب متفوق وخطيب، ذاك سعد صالح، فاتجه النظر اليه ليقود "الحكم"، وهكذا تم تعيينه وزيراً للدخليسة في وزارة توفيق السويدي.

وفي استعادات لذكرى سعد صالح من الكثير من مجابليه وبينهم حسن الأمين وعبد الكريم الأززي وعبد الغني الدلي والجواهري وحسن الأسدي وجعفر الخليلي وصادق البصام وعبد الوهاب محمود ومكي الجميل وآخرين، ومن خلال قراءة تاريخ تلك المرحلة، فلم يكن من السهل موافقة السلطات الحاكمة رغم محاولات انفتاحها على حق تاليف الأحزاب وحرية الصحافة، إلا أن سعد صالح تمسك بهذا الشرط وأجاز خمسة أحزاب هي: حزب الاستقلال (ذا التوجهات القومية العربية بقيادة محمد مهدي كبه) والحزب الوطني الديمقراطي (ذا التوجهات الديمقراطية الليبرالية

## الخطاب السياسي في العراق بين الفعل والانفعال

أولاً: غياب المشروع السياسي الاستراتيجي لدى بعض السياسيين مما يؤدي الى غلبة العامل التكتيكي وبروز اسلوب الشحن الانفعالي لتغطية ضعف البرنامج السياسي.

ثانياً: إستخدام اسلوب سيكولوجية القطيع لتحقيق غايات انتخابية فتوية سريعة المفعول، دون حساب الخسائر التي قد تقود البلد إلى

حافات الخطر والصدام.

ثالثاً: طبيعية حدائة التجربة وقلة الخبرة في مجال العمل السياسي الذي يؤسس لنظام تعددي ديمقراطي.

رابعاً: تأثر عدد غير قليل من هؤلاء المشنحين بنقاشة سلطة النظام الدكتاتوري السابق في العراق والتي كانت تعتمد لغة التهديد والوعيد في أغلب خطاباتها وبخاصة ممن كانوا ضمن سلطة ذلك النظام أو ممن يحملون أفكاره أو ممن تأثروا بسلوكياته وممارساته القمعية.

خامساً: الانجرار خلف الإيحاءات الضارحية التي انست مسأل هؤلاء المشنحين بانهم شركاء في الوطن وأن العراق لا يمكن أن يتم حكمه من قبل شخص أو حزب أو طائفة كما يحاول البعض بالعودة إلى اله وراء أو تعطيل المؤسسات الدستورية.

ويعد ذلك الخطاب المشنح سلبياً بالدرجة الأولى على من يتبناه من حيث يشعر أو لا يشعر كما تتعكس تلك السلبية على المجتمع ونظام الدولة ومؤسساتها الدستورية، حيث ان هذا النوع من الخطاب العنيف له طبيعة ارتدادية تؤسس لمقاطع من العنف والغف المضاد، ذلك انها قد تقود لتفكك النسج الاجتماعي العراقي.

إن إيجاد خطاب سياسي ايجابي يكون بديلاً عن الخطاب المشنح والمتطرف وبعيداً عن المهارات والتهديدات التي لا تجلب سوى العنف والدمار للدولة والمجتمع، هو الطريق الأمثل للحفاظ على

الخطاب كما يراه البعض` كلام مباشر أو غير مباشر شفوي أو مكتوب يلقي على المستمعين بقصد التبليغ والتأثير` ، ويختلف نوعه باختلاف مضمونه والمواقف التي يلقي فيها، ومن هنا يتد تصنيفه إلى: خطاب سياسي، اجتماعي، ديني، علمي، ثقافي...الخ، ويعد الخطاب الوسيلة الأكثر تأثيراً وتفاعلاً في نفس المتلقي.

وما يهيمننا هنا هو الخطاب السياسي كونه الأكثر شيوعاً واهمية في هذه الأيام، كما أنه قد يكون الأكثر خطراً في المجتمع إذا كان غير مسؤول وغير مدروس ويأتي بطريقة استغفرازية ومتشججة تنطوي على حالة من التهديد والصراخ والوعيد.

وتكمن الخطورة عندما يتحول الخطاب السياسي إلى وسيلة للشحن الانفعالي المهيج للعواطف والكراهية عبر اللجوء إلى الصراخ في أبسط المشاكل واتفهاها بعيداً عن الهدوء والروية في حل الأمور وعدم الرجوع إلى العقل والمنطق.

إن لغة الانفعال والتوتر قد لا تجلب نتائج طيبة أو مقبولة لدى الجهات التي تتبناها، حيث انه لا يمكن للصراخ والانفعال إذا يصل باصحابه إلى غاياتهم ومقصدوم، بل قد تكون نتائجها العكسية أكبر وأخطر على من يتبناه.

وعلى الرغم من شهادة العديد من المراقبين المحليين والدوليين بان ما يجري في العراق اليوم يؤسس مرحلة جديدة من التنافس السياسي والتداول السلمي للسلطة والاحتكام إلى المؤسسات الدستورية، إلا أن ما نلاحظه وتلمسه من قبل بعض الكتل والأحزاب المتنافسة متمثلة بشخصها السياسية يجعلنا في حقيقة الامر نأسف كثيرا لسماع بعض التصريحات المتوترة والعنيفة في جميع المحافل ووسائل الإعلام المختلفة، فالارتباك والعصبية والتشنج الحاصل لدى البعض هو الطافي على أغلب تصريحاتهم.
إن هذا التشنج الحاصل في الخطاب السياسي لدى البعض قد يكون مرده إلى عدة عوامل منها:

الضرورية لمعالجة المشكلة الاجتماعية-الاقتصادية المتفاقمة منذ نحو ربع قرن بسبب مصادرة أراضيهم، ناهيك عن التجاوز على القانون، لكن هذا الكلام الصادق قابله القائمقام بالضرب المبرح والشتم والتوقيف كما يقول ويكشف سعد صالح لمجلس النواب. ويخاطب المجلس قائلاً` أيها السادة، كلما تذكرت حالة هذه العشيرة البائسة وتصورتها وهي تضرب في التيه منذ أربعة وعشرين سنة تتطلب الماء فلا تقع إلا على سراب الصحراء الملتهبة وتتجعج الكلا فلا تجد إلا الرمل والحصى، ثم يلجئها الحل الى مزارع الكوت أو المنتكف فتزاد عنها نود غرائب الابل وتطرذ طرد الكلاب الكلبة.

لعل هذه مراعاة قانونية دفاعاً عن حقوق الانسان وضد الانتهاكات السفارة والصارخة لحقوق الفلاحين من عشيرة الدريع، وهي درس في فسقه العدالة والمساواة.

كانت لغة سعد صالح مطواعة بين يديه، ويستطيع أن يوجهها لحيث ما يريد من أغراض، يلعب بالكلمات وكأنه مسرحي بارع، واحساناً بكل جذبة يضع الفكاهة والتهمم والسخرية في صلب مطالعته الجادة، لعل في ذلك ضحك كالبكاء على حد تعبير المتخني أو هو نوع من السخرية الحزينة والكوميديا السوداء أو الكوموتراجيديا.

وكان في إحدى مطالعاته قد تناول بسخرية رئيس الوزراء حمدي الباجه جي بالقول` إن حمدي باشا نزيه، لكنه لم يسمع مثلاً بأن هناك من يتعاطون المحاماة بعد أن لفقتهم الوظائف، يقاولون أصحاب المصالح على تصدير بيانات من بعض اصحاب المعالي... واعتقد أن حمدي نزيه ولكنه لم يسمع خبر مثل هذا المحامي الذي استطاع أن يعطل قراراً... وأنا اعتقد بان حمدي باشا نزيه، ولكنه لم يسمع أن بعض الموظفين والمستخدمين أقصوا لأن علاقاتهم مع الوزراء غير مثبنة... واعتقد أن حمدي نزيه ولكنه لم يسمع...`

ثم يختم بيت الشعر الشهير:

إذا نكت لا تدري فالحصيبة اعظم(6)

وإن نكت تدري فالحصيبة اعظم(6)

لعل ذلك يذكرنا اليوم بحاجة الى مثل هذا التمسك بالمثل والقيم والمبادئ التي كان يسعى طريق سعد صالح اليها، حتى وإن كان الطريق مقفراً أو خلى من السائرين فطريق الحق على قلة سالكيه

لا يستطيع أحد أن ينكره بوصفه سياسي على عكس الانتخابات الماضية التي حاول البعض فيها دفع البلاد إلى صراع طائفي، حيث كان التخندق الطائفي واضحاً وكبيراً بين الكتل التي اشتركت في العملية السياسية، اما ما يحصل اليوم فهو مؤثر ايجابي على تطور العمل السياسي في العراق والتوجه به صوب الاستحقاق الانتخابي عبر المؤسسات الدستورية. وبرغم الكجوات العديدة والمؤشرات



السلبية التي راقت العملية السياسية في المرحلة الماضية إلا انه لا أحد يستطيع أن ينكر وجود منجزات كما لا يستطيع أن ينكر وجود إيجابيات أمنية وفساد ومحسوبة ورشوة وبطالة، ومن ينكر ذلك اعتقد أنه غير واقعي وغير موضوعي ولا يريد أن يرى الحقيقة أو يريد أن يراها بعين واحدة.

كما أن من يقول باستطاعته القضاء على جميع تلك المشاكل والسلبيات في الدورة الانتخابية القادمة فهو يجافي الحقيقة أيضاً ولا يعدو كلامه أكثر من دعابة أو دعابة يراء منها تحقيق مكاسب انتخابية فقط وبعيدة كل البعد عن تصورات العقل والمنطق.

نحن لسنا ضد التنافس في الانتخابات ولكننا مع التنافس الواعي الذي يرتقي إلى مستوى عقول القلاء ممن يؤمنون بما يصرحون به من قول يدعون فيه حب الوطن والحرص على مصلحة العليا، فالعراق اليوم ليس كما كان في السابق تحكما الإشاعة وتظلي عليه

حسب الامام علي بن ابي طالب يبقى هو الطريق الصحيح وهو الطريق المأمون وهو الطريق المستقبلي.

(1) هو عبد الفتاح ابراهيم العاني وقد ولد في بغداد في منطقة` باب الشيخ` حيث كان يقيم والده رجل الدين ابراهيم` المدرس` درس في بغداد وتخرج منها وكان احد طلاب البعثة الدراسية عام 1924 الى الجامعة الاميركية في بيروت، حيث حصل على درجة الماجستير في التاريخ والاقتصاد وعلم الاجتماع ونشط في اواسط الطلبة العراقيين الذين يدرسون في الجامعة الاميركية وتبلورت هذه النشاطات عن تاسيس` الشعبية` وقبلها نادي النشء العراقي واصبح رئيسه وانتخب محمد حديد اميناً للصندوق. عاد الى العراق عام 1928 بعد انتهاء دراسته وعمل في سلك التدريس في الموصل والبصرة، ثم سافر الى الولايات المتحدة والتحق بجامعة كولومبيا عام 1931 وكرس نشاطه اللاحق لفكرة الشعبية وتأسيس جماعة الاهالي خصوصاً بدمج كتلة بيروت التي ضمت كلاً من علي حيدر سليمان، جميل توما، عبدالله بكر، نوري روفائيل، محمد حديد، درويش الحيدري، و ابراهيم بيثون بكتلة بغداد التي ضمت عبد القادر اسماعيل، حسين جميل ، خليل كونه، وجميل عبد الوهاب وآخرين. ويقول محمد حديد ان عبد الفتاح ابراهيم كان ذا شخصية قوية ومؤهلات مميزة وقدره على المبادرة واتخاذ القرار، كذلك كان متقدماً علينا في الدراسة وربما امتلك بعض الاطلاع على التاريخ السياسي والحركات التحررية .
انظر : محمد حديد – مذكراتي – مصدر سابق ، ص 67- 70.

(2) الأمين ، حسن– كُتّاب في أربعينات العراق استمروا في الظل، صحيفة الحياة، مصدر سابق.
(3) قارن صالح، لؤي سعد، مذكرات (مخطوطة) مصدر سابق.
(4) قارن: بصري، مير- سعد صالح، مجلة النور، العدد 94، آذار (مارس) 1999.
(5) انظر: بصري، مير – سعد صالح، مصدر سابق.
(6) قارن: بصري، مير\_ المصدر السابق.

الدعاية والأكاذيب، بل أصبح أغلب أبنائه يميزون جيداً بين المخلص والمدي، واعتقد أن أغلب العراقيين اليوم صاروا أكثر تمييزاً بين اللغة التي تكلمها العواطف أو التي يحكمها العقل، فلا مجال للمتوترين والقافزين على الحقائق، لأن هناك تجارب عاصرها جميع العراقيين في الحقبة المظلمة لحكم البعث في العراق والتي أرادت تحويل الإنسان العراقي إلى "بيدق" أو "بوق" بيد السلطة الحاكمة يرقص لها متى تشاء ويتظاهر في مسيرات ليشجب ويندد متى تشاء ويرج به إلى معارك "الشرف" كما تشاء أو يجلس في داره ولا يتحرك حين تشاء.

أصبح اليوم لدينا قواعد شعبية وشبابية متعلمة ومثقفة وواعية تترك الأمور وتحلل الأحداث وتبحث في الأبعاد والمضامين وبالتالي فهي باس الحجة لقيادات واعية سواء أكانت في الحكم أو المعارضة، والتي من شأنها أن تضع النقاط على الحروف لا أن تسلك من الناس انتماءاتهم وتشكك في ولائهم لوطنهم وتنتظر لهم كخونة وبخلاء على هذه البلاد وتنتظر لهم كعملاء.

إن الخطاب السياسي الناضج والفعال في بناء العملية الديمقراطية السليمة يعتمد على:

1- الاتفات إلى مسألة الشراكة الحقيقية بين جميع مكونات البلد في إدارة السلطة والحكم وجعلها المحور الرئيس الذي تبني عليه العملية السياسية.

2- إعادة النظر بلبسة الخطاب السياسي والتحول به من خطاب سلمي متشنج ومتازم وغير مدروس إلى خطاب إيجابي مدروس يساعد في إعادة اللحمة لهذا البلد.

3- الابتعاد عن الاتهامات والتشكيك في الآخر أو حمله على المحمل السيئ.
4- ترسيخ ثقافة اللجوء إلى القانون وتفعليل دور القضاء من دون تدخل في الأحكام التي يصدرها إلا إذا كانت تلك الأحكام تشمل طابع سياسي وليس قانوني.

× مركز الإصام الشيرازي للدراسات والبحوث.